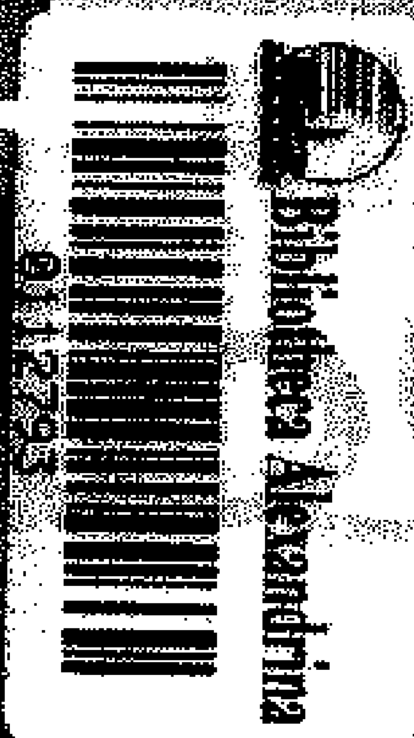
دار الآداب

أدونيس



ق[illegible]ئد أولى

«صياغة نهائية»



قصه‌ی اول

قصائد أولى

١٩٣٩ - ١٩٥٥

- صياغة نهائية -

منشورات دار الآداب - بيروت

طبعة جديدة
١٩٨٨

قصهٔ اولی

قالت الأرض

[مقاطع]

- ١ -

قـالـت الأرض في جـذوريَ آبـادُ
حـنـيـنٍ ، وكـلُّ نَبْـضـي سـؤالُ
بِيَ جوعٌ إلى الجمال ، ومن صدريَ
كـان الـهـوى ، وكـان الـجـمـالُ

- ٢ -

مـا ليَ اليوم أستفيقُ ، فـلا حقلي
نـضـيـرٌ ، ولا تـلالـي زواهِـرْ
لا النّـواطيـر يسمـرون مـع النّجم
ولا الـضـوء راتـعٌ في الـمحـاجِـرْ
أنـا كـنـزٌ مخبّـأٌ ، أين أبـنـائي
فـكلّي صـوتٌ ، وكـليّ حنـاجِـرْ.

ـ ٣ ـ

ربّمـا أنهكتْهمْ ضـربـةٌ عـمـيـاءْ
فـاستـسـلـمـوا لـهـا واسـتـلانـوا
ربّمـا ألبسـوا ثيـابـاً سَـرَت فيهـا
أكـفُّ الأوثـانِ ، والأوثـانُ
ربّما . . . ربّما ، كأنَّ الحروفَ السود
صُـمَّـت فـي وقـعـهـا الآذانُ
فَكَـأنْ لَمْ أطلعْ على الأرض ميلاداً
ويُخْلَقْ مـن صـدريَ الإنـسـانُ .

ـ ٤ ـ

قُمْ مع الشمس يا شبابي ، وحرِّكْ
عـالمـاً غـافيَ البصيـرة ، جـامِـدْ
أنتَ علَّمتَـه الـحـيـاة قـديـمـاً
وسـتبـقى لـه دلـيـلاً ورائـدْ .

ـ ٥ ـ

أنـا سـوَّيتُ من عـروقيَ أبنـائي
وربَّـيـتـهـم ذرىً وجـبـالا
يتسامون فـالطـموح مـدىً جـذبٌ

ويحيون في الزمان مثالا
أنا سوّيت من عروقيَ أطفالي
وسوّيتُ فيهمِ الأطفالا .

ـ ٦ ـ

مَجّدوني ، تفتّقوا في ينابيعيَ
فيضاً ، وفي ترابي ربيعا
وحدةٌ نحن ، يضحك القلبُ للقلب
وتَستلْهِمُ الضّلوعُ الضّلوعا
كم أقَلْنا مُعَشّرينَ حيارى
واحترقنا على الدروب شموعا
ومَدَدْنا للظامئين نفوساً
فُجّرت في حياتهم ينبوعا .

ـ ٧ ـ

يَا لتَوقي ، يا عمقَه ، يُخلقُ
المجهول فيه ، وتولد الأيامُ
يَمْسَحُ الوهمَ عن حياتي فلا
الإيهام يلهو فيها ولا الأوهام

بعضيَ الفجرُ، بعضيَ النّور والحبُّ
فما مرَّ في كياني ظلامُ
إن أكن نمتُ مرّةً، فلأعماقي
دويٌّ مجلجِلٌ لا ينامُ.

- ٨ -

ايَ خَلْقٍ كالسرّ، كالحلْم، كالفتح
يفضُّ البعيدَ والمجهولا..
جُمِّع الكلُّ فيه، فالخلقُ
مضفورٌ على كبريائه إكليلا.

- ٩ -

حَملت فجرَه بلادي أنباءَ
حياةٍ غَلاّبةٍ وشبابِ
قُلْ لمن يحضن السّراب ويلهو
بفراغٍ مُطرَّزٍ بالسَّرابِ
أشرقَ العالم الجديدُ، وماتتْ
خلفهُ، جاهليَّةُ الأحقابِ.

ـ ١٠ ـ

يَئِس الشعب من مغالبة اليأسِ
فـفـيـه لـلـيأس بابٌ عتيقُ
يتمشّى في صدرِه قلقٌ جمْرٌ
وصوتٌ مجرَّحٌ مخنوق
جُنَّ فيه السؤالُ ، أين غدٌ
يخلق ما شاءه ، وأين الطريقُ ؟
كلّما همّ أن يثور على القيد
تولّاه خائنٌ أو عَقوقُ
ربَّ صبحٍ أفاقَ فيه فعَفَّى
خائنيهِ ، إباؤهُ المستفيقُ .

ـ ١١ ـ

لا نواعيرةُ تدور ، وإن دارت
فبالبؤس والشقاء تدورُ
بيدرٌ يسألُ الحصادَ عن القمح
وحقلٌ يذوي وأرضٌ تبورُ
وعلى أنّةِ العذاب وآه اليُتْمِ
تعلو مرابعٌ وقصورُ

تَشْرئبُّ الذرى على ضجّة الويل
وتشكو الى الصّخور الصّخورُ .

ـ ١٢ ـ

في الدروب انتفاضةُ الكِبْر
فَالخَطْوُ عليها محقَّرٌ مرذولُ
قَدَمٌ تكتب الجريمة والبغيَ
فخطْواتُها دمٌ وقتيل
والقرى صفرةٌ ، فقد مسح الخضرةَ
عن وجهها النضير ، الذبولُ
كل بيتٍ فيها ، شفاهٌ تجمّدْنَ . .
فماذا تشكو ، وماذا تقولُ ؟
يُورِقُ اليّبْسُ في الصراع ، ويحيا
الميّتُ فيه ، ويبطل المستحيلُ !

ـ ١٣ ـ

ألجبال العتاقُ والصخر والشاطىءُ
والزورق المُدِلُّ المغامرْ
صَرخاتٌ ـ مَدىً كأنّ عليه

من جفـون التاريـخ آلافَ سـاهـرْ
هي فينـا حبٌّ يـسـائـل عن حـبٌّ
وماضٍ يلفّ بـالمـجـد حـاضـرْ
عبثـاً ، لن تهـدّ جـلجلةُ الـبـغـي
شـفـاهٌ نـدّابـة ، أو مـنـابـرْ
ليسَ إلا أن نـنـسـجَ الحـبّ رايـاتٍ
وأن نـرفـعَ الـنـفـوس مـنـائـرْ

- ١٤ -

هـا طـريقُ الحيـاة نحن شققْنـاهـا
عِـراكـاً وثـورةً وجـهـادا
نـتـخـطّى عنفَ الـزّمـانِ ونُـلقي
صـورَ الـعُـنـفِ خـلـفـنـا أمـجـادا
ربّ نـورٍ كـان الـحـيـاةَ لـشـعـبٍ
لـمـحـتـه عـيـن الـظلام سـوادا .

- ١٥ -

لغـة الحـقّ أن نمـوت مـع الـحقّ
انـتـصـاراً أو أن نـمـوت انـكـسـارا

ليس عاراً لنا ، إذا ما نُكِبْنا
إنَّ في خفضنا الجِباهَ العارا

- ١٦ -

يا لذلٍّ يطوي النفوس ويبنيها
عروشًا تتيه ، أو سلطانا
كم مشت حولنا مواكبها السُّودُ
جحيماً ، وغلغلت أفعوانا
أيُّ حقٍّ خَنَا الجمالُ عليه
لم يصرْ في ضميرها بهتانا
ما لها ، ما لها يُمزِّقُها الحقدُ
جنوناً ، وترتمي خذلانا
لم يَلِنْ نابُها العتيُّ ، ولكن
لَمَحَت في صدورنا الطوفانا .

- ١٧ -

آنَ يا شعبُ أن تزولَ حياةٌ
تَتَمادَى قولاً وقيلاً وقالا
لا يصير السُّراب حقّاً ولا تُعطي

أكـفّ الـرِّمـال إلا رمـالا .

- ١٨ -

أيّهـا الجيلُ أين كبـرك يـا جيـلُ
فهـل مـاتَ في هـواكَ الـجهـادُ ؟
أرضُـك الأرضُ لا السنابـل آفـاقٌ
تـهـزّ الـرؤى ولا الـحـصّـادُ
أتُـرى هـذك الـعيـاءُ وأسـلـتَ
قـيـاداً ، فجُـنَّ فيـك الـقيـادُ
كيف تـحيـا وكـلّ أرضـكَ أنّـاتٌ
حـيـارى ، وكـلّهـا أصـفـادُ
أين يـا جيلُ ، أين كبـرك يـا جيـلُ
فـهـل مـاتَ في هـواكَ الجـهـادُ

- ١٩ -

مـا علينـا قهـرُ الصعـاب ، ولكنَّ
علينـا أن نقـهـر المستحيـلا
نـحن تـاريـخُنـا ونـحـن ليـالٍ
ضـحـكـت في يـمـيـنـه إزمـيـلا

فجّر الكِبْرَ في جوانحنا زيتاً
وألقى جراحنا قنديلا
هَمُّنا أن نمزِّقَ الحُجُب السود
ضياءً ، ونكشف المجهولا
كشَفَتْنا الحياة حتى كأنّا
ألفُ جيلٍ منها يعانق جيلا .

- ٢٠ -

أبداً ، نخلقُ الوجودَ ونعطيهِ
حياةً ، كما نرى ونشاءُ
قطرّت في أكفّنا فِلقُ الصّخْرِ
عبيراً ، واهتزَّتِ الصحراءُ
قيلَ : كنّا ، فاخضرَّ من شَغَفٍ
حلمُ الليالي ، واخضرّت الأشياءُ .

- ٢١ -

منذ كنّا ، كنّا طغاةً على الذلّ
وكنّا في وجهه ثوارا
نتخطّى عنف الحياة ونُلقي

خلف خُطْوَاتِنا الشذى والغارا
فزرعنا عين الوجود جمالاً
وملأنا أعماقه أسرارا
وشمخْنا نلفّ بالعبَق الدنيا
ونبني في جبهة الشمس دارا
سهرت بعدنا النجوم وصارت
لأساطيرِ مجدنا سُمّارا .

- ٢٢ -

ذاك مجدافنا يسيرُ إلى الشاطىء
في مهرجانه المجتاحِ
لم تُلامِسْ شراعَه رعشةُ اليأس
ولا هزّه ضجيج الرّياحِ
ما رواتا دَفْقُ الجراح ، ففينا
لمداها ، تلفّتُ الملتاح
كلما اسْتَيْاسَ الكفاح بصدرٍ
جلجلت تستفزُّنا للكفاح .

- ٢٣ -

ربّ أمٍّ تمدُّ كفّاً إلى الأرض
وكفّا لطفلها المقرورِ
لمحت في صراخه لغة القَهْرِ
ورُغْبَ الدنيا وموت الشعور
ورأت في جبينه ثورة الجوع
وأطياف جفنها المذعور
فانحنتْ تأكل التراب وتشْتَفُّ
بقايا موائد وقشور.
وعلى ثغرها رجاءٌ : غداً تخضرُّ
أرضي ، غداً يُضيء سريري.

- ٢٤ -

وغداً تلعب الطفولة بالوردِ
وتنمو حقولنا وتفيض
يملأُ الخير أرضنَا ، فإذا الشعبُ
نموٌّ ، وقوّةٌ ، ونهوض
وإذا أرضنا منائر لا تخبو
ودفْقٌ من الشذى لا يغيض

لا مُكِبٌّ على السؤال ولا مُلقىً
على شاسع الدروب مريض
كلّ فقرٍ يفنى ، ويفنى مع الفقر
زمانٌ جَهْمٌ وكَوْنٌ بَغيضُ.

- ٢٥ -

... فإذا الكون كونُنا وإذا الدنيا
شمالٌ لحبِّنا ، ويمينُ
إنَّ خلق الحياة صعبٌ ، ولكن
كلَّ صعب ، إذا أردنا ، يهونُ.

- ٢٦ -

أنا شئتُ الزمان حلْماً على جفني
وصوتاً مجلجلاً في شبابي
لي غدٌ كلما تَلَمَّسه اللّيل ببابِ
أطلّ من ألف باب
فتحت كفُّه دروبي وأرْسَتْها
على التّيه ، دفقةٌ من شهاب
أنا وَجْهُ المدَى ، فكلّ جمالٍ

في فؤادي يحيا وفي أهدابي
كلّما أوْمأ التراب لأجفاني
تمثّلتُ قوّتي في الترابِ .

- ٢٧ -

لبلادي أنا ، لثورتها الكبرى
لآفاقها الفِساح البواسِم
لحقول ... مواسمٍ ، تزرع الأرض
ربيعاً ، تكلّمي يا مواسِمْ !
ثورةٌ من تفتُّح الذاتِ لا تُطْلِعُ
إلا منائراً وملاحِمَ .

- ٢٨ -

أنا فيها الفلّاح أزرعها قمحاً
ووروداً ، وأقلع الأشواكا
سكّتي تنطح الصخور ، وتمشي
في الأحافير ، نَشْوةً وعراكا
وحقولي سنابلٌ تقرع النجم
كأنّي زرعت فيها السُّماكا

قيِّمٌ باسم أمتي .. لست مقطوعاً
ولا غاصباً ولا ملّاكا
أنا للشَّعب .. أيها الشعب مُجِّدتَ
فإني في كلِّ شيءٍ أراكا .

- ٢٩ -

أنا فيها الراعي .. أطوف وأغنامي
ذراها وغابها ورُباها
ليَ قلبٌ يُحِسُّ خلْجَ المجاهيل
ويصطاد في البعيد الآها
قَلقٌ ، يحرس القطيع وينْقَضُّ
على الرُّعب ، شامخاً تيّاها
ومعي النَّايُ - جُمِّعت فيه آفاق
بلادي : شطآنها وقراها
أُطْلِعُ اللَّحنَ ، لحنَها فكأنّي
واضعٌ بين راحتيّ إلَهَا .

- ٣٠ -

كلُّها في دمي : تراباً وأجواءً

وزهراً ، وصبيةً وصبايا
سُوِّيَتْ من رحابها الخضر أجفاني
وقُدَّتْ جوانحي ويدايا
أنا إنْ متُّ ، لا أموت ، فقد
ركَّزْتُ في جبهة البقاء ، خطايا
ربّما عشتُ في مزاميرها لحناً
وغَلْغَلْتُ في ذراها عشايا
كلّها في دمي ، وكلِّيَ فيها :
صبيةٌ يعشقونها وصبايا .

- ٣١ -

أنا دربي طويلةٌ كَغَدٍ يُقْبِلُ
كالكون ، في مداه الطويلِ
أنا دربي خضراءُ ، لوَّنها قلبي
وغطَّى جراحها تقبيلي
أنا دربي وَثْبٌ على الموت خَطَّافٌ
وغَذٌّ في المغلق المجهول
أنا جيلٌ في أمّتي ، وأنا فردٌ
من الجيل ، بل أنا كلُّ جيل

أينما كنت ، كنت في صدرها أحيا
وفي روحها الكبير الأصيلِ .

- ٣٢ -

أنا جرحٌ مُضَمَّخٌ بالبطولات
وضوءٌ على الذرى مرشوقُ
أنا لِي مشرقُ النّجوم ومرساها
ولي أفْقُها الفسيح العميق
وليَ البحرُ ؛ شمسُهُ ودياجيه
ولغزٌ في جانحيه عتيق
أنا لي أمتي : جمالٌ وتاريخٌ
ولي أرضها : غدٌ وطريق
لست وحدي ، فكلّها كلُّ ما
فيها ، نداءٌ يضمّني ورفيقُ.

- ٣٣ -

أنا فيضٌ من أمّتي وعتيقٌ
مرَّ في كونها العَتيقِ الجديدِ
مطْلَقٌ في كيانها ، فأنا فيها

كـيـانٌ طَـلْـقٌ بـغـيـر حـدودِ
كـلّ فـردٍ فـيـهـا أُحِسُّ كـأنْ
جُمِّـع فيه صدري ، ومـال وريـدي
إنَّ في الغيـر بعضَ نـفسـي ، وفي
الآخـر ، شـرطـاً ومنبعـاً لـوجـودي .

- ٣٤ -

أنـا لي نبضـةُ المـلايين في شعبي
ولـي هـذه السّـهـولُ الـفِـسـاحُ
لـيَ آهـات أمّـتـي وأمـانـيـهـا
ولـي كـبـريـاؤهـا والـجِراحُ
أنـا وردٌ فـي هـذه الأرض نـمّـامُ
وعِـطْـرٌ مـن امّـتـي فـوّاحُ .

- ٣٥ -

آنَ لـي أن أُسُـلَّ نـفـسـيَ
من ليلٍ أليفٍ ، ومن صباحٍ مُعـادِ
آنَ لي أن أكـون نفسيَ ، أن أحيـا
وجـودي ، وأمّـتـي وبـلادي

وارِدٌ التاريخ شهقة جوعٍ
تتغذى من قَبْضتي وفؤادي .

- ٣٦ -

مِن هنا ، من بلادنا ، نحن أقْلعنا
شراعًا ، وموجةً ، وليالي
ومشينا حرفاً على صفحة القلب
وحرفاً على شفاه السؤال
زرعت كبرياؤنا صور الحبِّ
وروداً وسوسناً ودوالي
وملأنا عين الزمان ، فما تبصرُ
إلا كواكباً ولآلي
فإذا نحن لهفة القلب للقلب
وإرثُ الأجيال للأجيال .

- ٣٧ -

ها بلادي ، كأنَّ بغدادَ صارت
من ذُرى الشّامِ ، أو غَدت لبنانا
نحن شئنا الدنيا جمالاً وحَقّاً

وخـلقـنـا لـلعـالـم الإنـسـانـا

- ٣٨ -

من رأى الشمس تستفيقُ مع الشَّعْبِ
وتـشـتـاقُـه مـدىً وضـيـاءً ؟
من رآهـا تَنْكبُّ ظمْـأى على أرض
بـلادي : صـخـراً وظـلاً ومـاءً ؟
آنَ يـا شمس أن نغرِّب في الأرض
ونُـلقي عـن صـدرهـا الأعـبـاءَ
عـرفَتْنـا مـراكـبـاً تقـهـر المـوج
وفـأسـاً خـلاَّقـةً خـضـراءَ
ورأتـنـا نـسـيـر فيهـا أسـاطيـر
ونـحيـا فـي قـلبـهـا أنـبـيـاءَ .

- ٣٩ -

هـا رجعنـا لِلْكَشْفِ : تُنْشَـرُ آفـاقُ
عُـصـورٍ ، وتـنـطـوي آفـاقُ
سُفُنٌ تقحـم العبـاب .. ففـي اللجّ
نـويٌّ مـغـامـرٌ ، خـلاَّقُ

بعضها سنديانةٌ ، بعضها أرزٌ
وبعضٌ مغامرون رفاقُ
تتغنّى بنا الشواطىء ، فاللحن
شموخٌ ونشوةٌ وانعتاق
كلّما فُضَّ مغلقٌ في مداها
جذبتنا الأبعادُ والأعماقُ . . .

(١٩٤٩ ـ ١٩٥٠)

قصائد إلى الموت

حب

يُحبّني الطريقُ والبيتُ
وجرّةٌ في البيت حمراءُ
يعشقها الماءُ

يحبّني الجارُ
والحقل والبيدر والنّارُ

تحبّني سواعدٌ تكدحُ
تفرح بالدنيا ، ولا تفرحُ
ويزقٌ مَنْثورةٌ من أخي
من صدره المرتخي
يخبئها السنبل والموسمُ
عقيقةً يخجل منها الدّمُ .

كان إلهُ الحبِّ مُذْ كنتُ ـ
ما يفعل الحبُّ ، إذا متَّ ؟

أسرار

يضمّنا الموتِ إلى صدرهِ
مُغَامِراً ، زاهِدا
يحملنا سِرّاً على سرّهِ
يجعل من كثرتنا واحِدا .

الشمس

ما أغمضتْ عيناي إلاّ على
حلْمٍ يسيرُ الموتُ في سيرهِ
ينام في الظلمةِ مُستغرقاً
ويُطلع الشمسَ على غيرهِ .

الموت

(مرثيتان إلى أبي)

- ١ -

أبي غدٌ يخطر في بيتنا
شمساً وفوق البيت يعلو سحابْ
أحبه سرّاً عصياً دفينْ
وجبهةً مغمورَةً بالترابْ
أحبّه صدراً رميماً ، وطينْ .

- ٢ -

على بيتنا ، كان يشهق صمتٌ ويبكي سكونْ
لأنَّ أبي مات ، أجدبَ حقلٌ وماتت سنونو .

أغنيتان للموت

- ١ -

كأنّه الموتُ إذا مَرّ بي
يخنقه الصمتُ ،
كأنه ينامُ إن نمتُ .

- ٢ -

يا يدَ الموت أطيلي حبْلَ دربي
خطفَ المجهولُ قلبي ؛
يا يدَ الموت أطيلي
علّني أكشف كنْهَ المستحيل
وأرى العالمَ قُرْبي .

اغنيات للحب

أوراق

ـ ١ ـ

قالوا : مشت ، فالحقلُ ، من ولَهٍ
متلبِّكٌ ، والقمح يكتنزُ
بُعث التناغم عِبْرَ خُطوتِها
والهيذَبى والوَخْدُ والرجَزُ
تُومي فيلتفت الصبَاحُ لها
من لهفةٍ ، ويتُغْتغُ العنَزُ
ما الوشْمُ ؟ ما الخرَزُ ؟
ما الأقدمون السُّمْر ؟ لم يلجوا
لُغزاً ، ولا اكتْنهوا ولا رمزوا ،
لفتاتها تَخِزُ
وجفونها وَتَرٌ وأغنيةٌ
صيفيَّةٌ ، وقميصُها كرَزُ .

- ٢ -

قال ليَ ، الآن ، صدىً منكِ :
« لا عمرَ للسرّ الذي يحكي
عَنّيَ أو عنكِ » .

- ٣ -

أحسّكِ فيَّ غريزةَ كَشْفِ
فأربط دَقَّ الثواني بقلبي ، وأعرف ما سيكون ، بِلَهْفي

- ٤ -

نَعرف كيف تعشق الفصولُ
نعرف أيّ لغةٍ تقولُ -
يا جهلَها ، - الرياحُ والحقولُ .

- ٥ -

لا ، لا أخافُ -
لَكِ ما سَيُنْكَرُ اعترافُ .

بين عينيك وبيني

حينما أغرقُ في عينيكِ عيني ،
ألمح الفجر العميقا
وأرى الأمس العتيقا
وأرى ما لست أدري ،
وأحسّ الكون يجري
بين عينيكِ وبيني .

بيت الحب

(مقاطع)

أحبّك ، حتّى كأنّ الحياةَ ابتكارٌ لحبّي .
أُحبكِ ، والضوء في ناظريكِ انزوى وانغَمرْ
وشعرك شَلاّلُ ثلجٍ على كتفيك انهمَرْ .
كأنّي أجرّ ورائي السنين وأستنفدُ
وحوليّ في بيتنا سريرك والمقعدُ
ومعطفك الأسودُ
ونارُك والموقدُ .

سألتك ، خلّيه ، خلّي سراجكِ يسْتسلمُ
ويدفنه المخبأ المظلمُ ،

وقولي لعينيكِ ان تُغمضا
أنا ، الآن ، فجرٌ طويلٌ طويلُ
تكاد تقول الثواني : مضى .

(١٥ شباط ١٩٥٤)

يقولون انني انتهيت

يقولون إنّي انتهيتْ
ولم يبق في مهجتي
سراجٌ ، ولم يبق زيتْ .
أمرّ على الورد ، ما همّه
ضحكتُ له أو بكيتْ ؟
وللورد في ناظري
وفي خاطري
صباحٌ محوتُ به وامّحيْتْ .
أحبّ أنا ، كم أحبّ جمالي
وأعبد فيه ضلالي
فيا ما هديتُ به واهتديتْ .

ظمئتُ ، متى يا دمي ، يا شبابي
تقول ، ارتويتْ ؟

ظمئت إلى موعد
وقفتُ عليه غدي . . .
ظمئت لقلب فسيحٍ عميقِ
أفَجّرهُ شعلاً في طريقي
وأخزنه في عروقي
واتركه بين حيٍّ وميْتْ ،
ظمئتُ ، متى يا دمي يا شبابي
تقولُ ارتويتْ ؟

يقولون إني انتهيتْ
ولي الأرضُ ، لي زهوها ، ولي كبرُها
تجرّحني راحتاها ويعبدني صدرُها
إذا شوكها عافني تخطّفني زهرُها .
يقولون إني انتهيتْ
ولي الأعصرُ
اذا جئت في بالها تسكرُ .
يقولون إني انتهيتْ
وفي كل دربٍ
يُصفّق لي ألف قلبٍ
ويضحك ظلّ وبيتْ .

شربتُ أنا كل قلبٍ ،
شربت ، كأنّي انتشيتْ ،
وقلتُ انجبِلْ
يا وجودي ، وكنْ ما اشتهيتْ .

(دمشق ١٩٥٤/٧/٧)

حدود اليأس

يأس

ماشٍ على أجفانه سادراً
يجرّه مديدُ آهاتِه
تلطمه الحيرة أنّى مشى
كأنها سُكنى لخُطُواتِه .
عُلِّق بالغيب فأجفانُهُ
رمليَّةُ الأفْق
كأنما ، من يأسهِ ، شمسهُ
تغيبُ في الشرق .

أغنية الى الطفولة
[مقاطع]

في السرير القَلِق الدافىء حُبٌّ
يستفيقُ ،
هو للناس تراتيلُ ، وللشّمس طريقٌ .

للطّفوله ،
تُشرق الشمس خجوله ؛
في خُطاها يَصغر الكون الكبيرُ ،
ويضيق الأبدُ ،
فلها الأرض غطاءٌ سَرمدٌ ،
ولها الدنيا سريرٌ .

أنا بالأمس ، لِيَ الآهاتُ بيْتُ
ولِيَ الفقر سراجٌ والدّمُ النّازف زيتُ .
كنتُ كالظلّ ، كما دار به الفقر يدورُ
قدَمي ليلٌ وأجفانِيَ نورُ .

يا طفوله ،

يا ربيعَ الزمن الشّيخ وآذار الحياةِ ،
وهوًى ماضٍ وآتِ ،
في غدٍ ، أنتِ صراعٌ لا يُحَدّ ،
وطموحٌ لا يُردُّ .
وغداً أنت ميادين بطوله
تُنشيء الكون وتُبدي وتُعيد ،
فيغنّيك الكفاحُ
وتغنّيك الجراحُ ،
ويغنّيك الدّم البِكْر الجديدُ

يا طفوله
يا هوًى ماضٍ وآتِ
يا ربيعَ الزّمَنِ الشيخِ وآذار الحياة .

بيت

حِكايةُ الأشباحِ في بيتنا
بعدُ ، على شفاهِنا تخطرُ ،
يُخبِئها المِحراث والبيدرُ ؛
فيه تَنَوَّرْنا مسافاتِنا
فيهِ حلمنا بالمجاهيلِ -
نقفز من كونٍ إلى آخرٍ
نطيرُ من جيلٍ الى جيلٍ .

حيرة

ينشر عينيه ويطويهما
حيران ، لا يغفو ولا يستفيقْ !
كأنّما يفرُّ من نفسهِ
كأنما تجفلُ منه الطّريقْ .

المشردون

في أول العام الجديدِ
قالت لنا ،
آهاتُنا ، قالت لنا ،
شدّوا الرّحال إلى بعيد ،
أوْ فاسكنوا خِيمَ الجليدِ
فبلادكم ليست هنا .
نحن الذين على الدّخيل تمرّدوا ،
فتهدّموا وتشرّدوا
أكل الفراغ نداءنا ،
ومشى الأمام وراءنا
أيّامُنا جمدت على أشلائنا ،
وتقلّصت كلماتنا
صارت تعيشُ على الثواني ،
صارت تدور بلا زمانٍ .
متشتّتون ، مضيّعون على الدروبِ

صُفْرَ السواعد والقلوب
والجوع كُلُّ نداثنا ،
والرّيحُ بعضُ غِطائنا
حتى الصباح يفرّ من آفاقِنا ،
ويغيض في أحداقنا

أقلوبَنا ، رفقاً بنا ، لا تهربي
وتَقحّمي عنفَ المصير
في الجوع ، في اليأسِ المَرير ،
وهنا ، على هذا التراب ، تَتَرّبي
فغداً ، يُقالُ :
من أرضنا طلع النضالُ
ونما على أشلائنا
ونِدائِنا
وعلى تلفّتنا البعيدِ
لغدٍ جديدٍ .

قصائد لا تنتهي

هوى ريشتي

أمسِ ، على أرضين مخضرّتينْ
كتبتُ أشعاريَ في لحظتينْ
وشئتها ، على هوى ريشتي ،
هنا سنونو ، وهنا برعمينْ . . .

فجر

شمسُكَ في مفاصلي
كالثّلجِ ، كالحريقِ
يا قلقاً يُولد في طريقي
يا فجرُ ، يا رفيقي .

حلم

في مهجتي تحيا معي قصةٌ
أوّلُها أبعدُ من أن يبينْ
أشمُّ فيها من رُبَى موطني
رائحةَ التفاح والياسمينْ
كأنما حروفها فُجِّرت
من جَبَلٍ صخرٍ وماءٍ معينْ .

يا قصةً تسير بي دربُها
إلى فضاء الزّمنِ الأولِ ،
ما أنتِ إلا حلمٌ مبدعٌ
لِلزّمن المُقْبلِ ،
تهدرُ في صدريَ أسرارهُ
يَبِينُ لي فيه الذي لا يبينْ .

أمطار

يُمسِكُ بالمحراث في صدرِه
غيمٌ وفي كفيه أمطارٌ ،
محراثُه يفتح أبوابَه
للممكن الأغنى ،
يُعثر الفجر على حقلِهِ
يُعطي له معنى .

أمس رأيناه وفي دربِه
من عرَق النهار فوّارٌ ،
يعود للرّاحة ، في صدره
غيمٌ وفي كفيهِ أمطارٌ .

العباءة

في بيتنا عَباءَةً
فصّلها عمْرُ أبي
خَيّطها بالتّعبِ .

تقولي لي ـ كنتَ على حصيرِه
كالغُصُنِ المتجرِد
وكنتَ في ضميرِه
غدَ الغدِ .

في بيتنا عباءَةً
مرميَّةً ، مبعثره
تشدّني لسقفهِ
لطينهِ للحجَره
ألمح في ثقوبها
ذراعه المُحتضنهْ
وقلبه ولهفةً في قلبه مُستوطنه
تحرسني تلفّني تملأ دربي أدعيه
تتركني شَبّابةً وغابةً وأغنيه .

أفقي وعد ...

عابرٌ أحمل أيّامي وبي
ظمأ الرمل وفي خطوي بحارْ

يا هوىً ضيّعني ، مُرّ على
حيرتي ، مُرّ على شُطآنِها
وسَلِ الأصداف عن كُهّانها
أيّ سرٍّ ليَ في أعماقِها
أيُّ حلْمٍ ليَ في أجفانِها ؟
هي في صدري تراتيلُ غَدٍ
وبَخورٌ مُذْهَبُ النار ، ونارْ ـ
من أنا ، أيُّ هوىً أحيا له ؟
أفُقي وعدٌ وعينايَ انتظارْ .

شرق الجمال

كُلّما مرَّ ببالي
أن أرى شرق الجمالِ
ودعاني الشَّفَقُ ،
تمَّحي ، عِبْرَ خُطايَ ، الطرُقُ .

قلق

يا ظُلمةً في أُفُقي
يا قَلقي ،
شُدَّ على تَجلّدي ومزِّقِ
واعصفْ به وحَرِّقِ ،
لعلَّ في رمادِهِ
أبتكرُ الفجرَ النقي .

في عتمة الأشياء

في عَتْمة الأشياء في سرِّها
أحبُّ ان أبقى
أحبُّ ان أسْتبطنَ الخَلْقا

أحبُّ ان أشردَ كالظنِّ
كغربة الفنِّ
كالمبهم الغُفْلِ وغير الأكيدْ ـ
أولَدُ في كلِّ غدٍ من جديدْ .

مسيرة

أمشي وتمشي خلفيَ الأنجمُ
إلى غد الأنجمِ
والسرُّ ، والموتُ وما يُولَدُ
والتَّعَبُ المفْردُ
تُميت خُطْواتي وتُحيي دمي .

أنا الذي لم تبتدىء دربُهُ
بعدُ ، ولم يُرصدْ له مِنْجمُ ـ
أمشي إلى ذاتي
إلى الغد الآتي ،
أمشي وتمشي خلفيَ الأنجمُ .

المخاض

لِمَنْ يفتح الفجرُ شُبَّاكَ عيني
ويحفرُ فوق ضلوعي طريقَهْ
لِمَ الموتُ ينبض مِلءَ كياني
ويربط عُمْري بخفْق الثواني ؟
عرفتُ ، دَمي رَحِمٌ للزمانِ
وفي شفتيَّ مَخاضُ الحقيقه.

وحدة

وُحِّدَ بي الكونُ فأجفانُهُ
تلبس أجفاني ؛
وُحِّد بي الكون ، بحرّيتي
فأيّنا يبتكر الثاني ؟.

رؤى

[مقاطع]

لِلّيالي فينا غَدٌ ونجومُ ؛
طَرَفَ حبُّنا لكلِّ سماءٍ
ومدىً لا نحدّه ، وتخومُ .
للسُّوى ، للزّمان نصنع للأفق دروباً ، وللتّراب رداءَ
ونسوّي لكلِّ أرضٍ سماءَ
يا رُؤانا لِلنّاس والأرضِ ـ عينُ الأرضِ تاهَتْ
فَغيّري الأشياءَ . . .

الثلج والدخان

[مقاطع]

قضَيبٌ مِن الثّلجِ : نارٌ وتبغٌ
وغيمُ دخانٍ
عوالِمُ لا تنتهي - وهي تفنى
بِبِضعِ ثواني .
أوَ شوشُه كلّ ما بيَ : ظنّي وحُلْمي
وما ليس تجرؤ أن تتحدّث عنه دموعي
أغاليُه ، وأنا في غِلابيَ أغنى وأقوى
فأسقط في راحتيه وعند خُطاه الخفيّةِ عضواً فعُضْوا ،
وأعشقه كالفُجاءَةِ ، بغتَةً
بهَمْسٍ ، بلفْتَه
لمحتُ وجودي يدبّ إليهِ
على شفتيّ ، على شفتيهِ ،
فلي في الدُّخَان
دَمي وزماني . . .

الدرب

[مقاطع]

في الحَجَر التّائِه لونُ القلَقْ
لون خيالٍ سَرَى ، -
مَن ، يا تُرى ،
مَرّ هنا واحتَرَقْ .

يحلو لِخَطْوي اللّهَبُ الأحمرُ
يحلو له المجدُ
وكلّما طال به البعدُ
يعلو ويستكبرُ ،
وكلّما قلتُ لدربي : تُرى
إلى متى عبءُ السُّرى والسُّرى
متى أرى المشتهى
وأبلغ المنتهى
وأهدأ ؟
قالت لي الدّربُ : هنا أبْدَأُ .

عرافة

[مقاطع]

حاجبُها كجرسٍ يَرِنْ
ملآنَةٌ بغيْبي
بواقِعي وريبي
بكلِّ ما أُكِنْ .

تنظرُ ، فالأحاجي
تُضيء كالسّراجِ ؛
كأنها تعلّقتْ
بهُدْبِ الزّمانِ
فَهْيَ مع الصبّاحِ
والغيم والرّياحِ
والصّعبِ والمتاحِ ،
عُقْدةُ كلِّ آنِ .

تُمسِك لي أصابعي وتُحدِقُ
وتُطرقُ
وتَلِجُ الكهوفا

وتنبشُ الحروفا ـ
ألا اضْحكي ، ألا ابْكي
ألا انْسي ، ـ
هذي يدي ـ خذي يَدي
خُذي غدي
وفَسِّري واجْتهدي
وَوَشْوشيني واحْذَري
أن تجْهري . . .

أبعاد غامضة

كلّما لَمّتْ يدي أشياءَها
وانْحنَت كالسّنبلِ
كمديَ لم ينْجلِ ،
مَرّ بي ضوءُ حريريّ الخطى
شائكُ الدّرب ، نادا في سكونْ ـ
وأنا بيتيَ في وجه الضّحى
زَهْرَةٌ شاخَتْ ومنقارُ سنونو .

حجر الضوء

على حَجر الضوء أنقش عُمْري
وديعاً كحبّة قَمْحٍ ؛
يُغطّي حروفي ضبابٌ
وفي كلماتيَ عتْمَه .
لأنّيَ حُبٌّ ،
أظلّ على الضوء أبني ، وتبني
معي حُفنةٌ من حياتي ولُقْمَهْ .

أرض بلادي

أرض بلادي . . . كنتَ في وعيها
وكنت نجواها وأعماقها ،
أبدؤها ، أعيدُها في دمي
وفي فمي
براعماً ، أوديةً ، أحجرا ،
أنقلها للورى ،
رسالةً تُريه ما لا يُرى .

أرض بلادي قصّةٌ لم تزل
تقلبُ كفُّ الكون أوراقها ،
تحملُها الشّمس ، فإن أُغلِقتْ
آفاقُها ، تفتحُ آفاقَها . .
خلاّقتي ، فأيّ شيءٍ أنا
إن لم أكن بالحبِّ خلاّقَها .

متى أرى : لي مشرقٌ جامِحٌ
يبتكر الشمس ، ولي مغربُ
متى أرى ، والكون لي ملعبٌ
والحبّ والعزّة لي ساعدانْ ؛
قلبيَ للثّورة مستنفَرٌ
دقّاته صارت زمانَ الزّمانْ .

يقين

آمنَ قلبي بأناشيده
بموطني : بالسَّرْوِ والياسمينْ ،
بكلِّ ما فيه ، بكل الذي
كُوِّن من ماءٍ ونارٍ وطينْ ،
بأمّتي . . . يولدُ في صدَرها
تلفّتُ الدنيا وحلْمُ السّنينْ .

ما في دمي غير ارْتياداتِها
مفتوحةً كالأرض ، مبسوطةً
على الغد الآتي ، على العالمين ،
ما في شرايينيَ غيرُ اليقينْ .

مستقبل الحرية

غداً ، عندما بلادي تغنيّ :
« أنا الحبّ يُؤثَر عني
بوجهي محوتُ السّوادا
وصرت لكلّ بلادٍ بلادا ـ
فلم يبق في أرضنا ظلامٌ ولم يبق شرٌّ » ، ـ
فقل أنا حُرٌّ ، وقل أنتَ حُرٌّ .

الجديد

. . . ويقـولون إنني لستُ كـالغَيْـر أعبُـدُ
ليس في جبهتي حصيـرٌ وركنٌ ومسجـدُ
ويقـولون : تـائِـهٌ ويقـولـون : جُـدجـدُ
وتسـاءلتُ ـ هل تَبخَّـر في وجهيَ الغَدُ ؟
وتــذكَــرت أنني كنتُ للشّمس أنشِــدُ ـ
أنا في الشمس تائِهٌ أنا لِلشمس جُدجدُ .

مواعيد

للهيكل القاذفِ أنْشودتي
في أبد المسير ، تمْجيدي
كلّ طريقي سفَرٌ دائِمٌ
وفي المجاهيل مواعيدي .

الأشياء

فيما تنام الأشياء حولي ،
تَهمسُ لي بِاسْمها ، وفيما
تمنحني الحلمَ والأخوّه ،
ترسمُ لي أغنياتي
بلهيبِ النبوّه .

رجاء

يا شِعرُ هَبْهُ أن يغنّي مع اليأسِ
ويعتادَ على النهارْ ،
أطفأتِ البذورُ في أرضه
شموعَها ، واحترقت عشتارْ .

عند نجمين

كلُّ بُرهَةٍ
يغسل المجهول وجهَهُ
بصلاتي
بينابيع حياتي .
عند نجمين على مشرق شعبي
عند قلبي ،
يُخبىء العالم كُنْهَهُ .

صورة وصفيّة

كان في مثل طَلْعة الصبح ـ
عيناه اكتشافٌ ووجههُ تسبيحُ
خلجت مَرّةً يداه ، فمرّت
غيمةٌ وامّحت مع الغيم ريحُ .

حنين

فيَّ حنينٌ هو غير الحنينْ
غير الذي يملأ صدر السنينْ ؟
تقتربُ الأشياءُ منه كأنْ
لا تعرف الأشياء إلّاهُ
تقول ـ ما شُيّئتُ لولاهُ ؛

كأنّه أكبرُ من حالهِ
يعلو ويمتدّ ولا يرضى
يريد أن يخرج من نفسهِ
ويحضنَ السماءَ والأرضا .

دروب

أمسي غَدٌ والكونُ ترتيلةٌ
تذوبُ ، ـ في وجهي وحبّي تذوبْ ؛
يولد في عينيَّ معنى الضحى
تبدأ من نفسيَ كلّ الدروبْ

الكاهنة

في جبْهتي كاهِنة أشعلت
بخورها واسْترسلت تحلمُ
كأنما جفونها منجمُ .
كاهنةَ الأجيال ، قولي لنا
شيئاً عن الله الذي يُولدُ
قُولي ـ أفي عينيه ما يُعبَدُ ؟

أعيش مع الضوء

أعيش مع الضوء عُمْري عبيرٌ
يمرّ ، وثانيتي سنواتُ
وأعشق ترتيلةً في بلادي
تَناقَلها كالصباح الرعاةُ ؛
رموها على الشمس قطعةَ فجرٍ نقيٍّ
وصلّوا عليها وماتوا ـ
إذا ضحك الموت في شفتيكَ
بكت ، من حنينٍ اليكَ ، الحياةُ .

فهرست القصائد

من منشورات دار الآداب

مجموعات الشاعر

- قصائد أولى، الطبعة الأولى ١٩٥٧.
- أوراق في الريح، الطبعة الأولى ١٩٥٨.
- أغاني مهيار الدمشقي، الطبعة الأولى ١٩٦١.
- كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل، الطبعة الأولى، ١٩٦٥.
- المسرح والمرايا، الطبعة الأولى، ١٩٦٨.
- هذا هو اسمي (وقت بين الرماد والورد)، الطبعة الأولى ١٩٧١.
- مفرد بصيغة الجمع، الطبعة الأولى ١٩٧٥.
- المطابقات والأوائل، الطبعة الأولى ١٩٨٠.
- كتاب الحصار، الطبعة الأولى ١٩٨٥.
- احتفاء بالأشياء الغامضة الواضحة، الطبعة الأولى ١٩٨٨.

دار الآداب
هاتف ٨٠٢٧٧٨ - ٨٦١٦٣٣
ص. ب ٤١٢٣ - ١١ بيروت

تصميم الغلاف ناصر عاصي
لوحة الغلاف للفنان حمودة عبد الرزاق